الذات بين الواقع والفضاء الرقمي
مقاربـــة فلسفيـــة

أ. حنان عبد السلام الهوي
عضو هيأة تدريس بكلية الآداب والعلوم سلوق – جامعة بنغازي

ملخص الدراسة :

هدفت الدراسة إلى معرفة الذات الإنسانية فلسفياً عبر العصور التاريخية، ومعرفة العلاقة بين الذات والهوية في الواقع الافتراضي الرقمي، ومعرفة التحديات التي تواجه الذات في ظل الفضاء الرقمي، والإشارة إلى الدور الفلسفي في ظل التقدم الرقمي.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج هي:

أنّ الفلسفة اهتمت بالذات الإنسانية عبر عصورها التاريخية، وأنّ مفهوم الذات في عصر التكنولوجيا ارتبط بمفهوم الذات الرقمية التي عبّر بها الإنسان من خلال الشبكات الإلكترونية، وأنّ هناك جملة من المستجدات والإشكالات الفلسفية التي ظهرت إثر ظهور الثورة الرقمية، وأنّ الفلسفة تصدت لها وحاولت احتواءها ووضع حلول لها.

الكلمات المفتاحية: الذات – الواقع – الفضاء الرقمي.

Abstract: The study aimed to explore the human self from a philosophical perspective throughout historical eras, and to examine the relationship between the self and identity within virtual reality, and understand the challenges faced by the self within the context of virtual space, and examining the philosophical role in light of digital advancement.

The study reached several conclusions, namely:

Philosophy has concerned itself with humanity throughout historical eras. In the age of technology, the human concept manifests as a [digital self] expressed through electronic networks, and that there are new developments and philosophical issues that have emerged with the advent of the digital revolution, and philosophy has addressed them and provided solutions for them.

Keywords: The Self - Reality - Digital space.

المقدمة

تحظى أهمية دراسة الذات الإنسانية، مع ما يشهده العالم اليوم من قفزات متسارعة للتكنولوجيا، بأهمية كبيرة في صفحات المواضيع الفلسفية؛ فالفضاء الرقمي أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان اليومية، الأمر الذي ساهم في إحداث تغيرات ثقافية وفلسفية في طريقة تفكير إنسان هذا العصر وتقديمه لذاته وتفاعله مع غيره؛ لذا فإننا أمام دراسة تحاول تقديم فهم نقدي وواعٍ لمفهوم الذات الإنسانية، وكيف تعيش بين الواقع والفضاء الرقمي، وفهم مدى التغيرات التي طرأت على المجتمعات الإنسانية المنفتحة على العالم التكنولوجي الرقمي، وما نتج عن هذا الانفتاح من قضايا فلسفية وأخلاقية واجتماعية، خصوصاً في التعبير عن الذات والهوية، وكيف أدخلت مسميات جديدة كالهوية الرقمية – الواقع الافتراضي؛ هذا الأمر استلزم إحاطة الموضوع بالدراسة انطلاقا من عدة تساؤلات هي:

- هل تناولت الفلسفة مفهوم الذات عبر عصورها التاريخية؟
- هل استخدمت مسميات فلسفية ارتبطت بمفهوم الذات؟
- هل كان للفلسفة خطابها في ظل ما شهده العالم من تقدم رقمي؟

وتم تخصيص ثلاثة مباحث لتناول موضوع الدراسة:

المبحث الأول: ماهية الذات في الفكر الفلسفي.

المبحث الثاني: الذات والهوية في الواقع الافتراضي.

المبحث الثالث: مهمة الفلسفة في ظل التقدم الرقمي.

وسيتم استخدام المناهج العلمية (المنهج التاريخي – المنهج المقارن – المنهج النقدي)، والاستفادة من الدراسات السابقة والمراجع العلمية في إثراء موضوع الدراسة.

1. مشكلة الدراسة

شهد العالم تقدماً تقنياً كبيرا جعله يدخل في فضاء من التكنولوجيات التي دخلت في شتى مجالات الحياة، ولعل من بين هذه التكنولوجيات التكنولوجيا الرقمية التي استخدمت البرمجيات والخوارزميات عبر أجهزة الحواسيب، وجعلت من العالم قرية صغيرة، وتغيرت البِنَى الثقافية والاجتماعية والفلسفية للإنسان، ودخلت الذات الإنسانية في المجتمعات الافتراضية وتعددت الهويات والشخصيات؛ فلم يعد الإنسان يعيش في محيطه المادي المحسوس فحسب، بل أصبح لديه هوية رقمية متداخلة مع هويته الواقعية؛ هذا الأمر جعلنا نتساءل:

كيف يؤثر الفضاء الرقمي في تشكيل مفهوم الذات؟

2. أهداف الدراسة

انطلقت الدراسة من عدة أهداف هي:

1. معرفة ماهية الذات الإنسانية فلسفياً، وذلك عبر العصور التاريخية.
2. معرفة العلاقة بين الذات والهوية في الواقع الافتراضي (الرقمي).
3. معرفة التحديات الفلسفية والقيمية التي تواجه الإنسان في ظل الفضاء الرقمي.
4. معرفة ما إذا كان هناك فرق بين الذات الواقعية والذات الرقمية.
5. تسليط الضوء على الدور الفلسفي في ظل التقدم الرقمي.

3. أهمية الدراسة

من الأسباب التي جعلت للدراسة أهمية ما يلي:

أنها تواكب التحولات الرقمية المعاصرة التي تسهم في ثراء الأدبيات الفلسفية؛ أي أنها تدرس أحد الموضوعات الفلسفية الجوهرية المتعلقة بالذات الإنسانية، كما تؤكد على دور التفكير الناقد في معالجة المواضيع الفلسفية.

4. مصطلحات الدراسة:

يقتضي موضوع الدراسة توضيح المصطلحات الأساسية فيه، والتي تشكل الجانب المفاهيمي له، وهذه المصطلحات تحددت في الآتي:

(الذات – الواقع – الفضاء – الرقمي).

أولاً: الذات:

أ/ في اللغة:

جاءت لفظة الذات في اللغة بمعنى: ذات الشيء حقيقته وخاصته[1].

والذات حسب اشتقاقاتها: "ذات مفرد، تجمع على ذوات، نفس، إنكار الذات"[2].

وتعرّف أيضاً بأنها النفس والشخص، ويقال: "ذات الشيء، أي عينه ونفسه"[3].

ب/ في الاصطلاح:

تعرف الذات اصطلاحاً بأنها: "حقيقة الموجود ومقوماته وتقابل العرض، وعند الكلام عن الإله –عز وجل– يقال: الذات الإلهية"[4]، وتأتي أيضاً في الاصطلاح بمعنى: "الطريقة التي يفكر بها الشخص حول قدراته في شتى المجالات، والإدراك لمعارفه وتصوراته"[5].

ج/ التعريف الإجرائي:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط. الأولى، الجزء الرابع، الجزائر، دار الأبحاث، 2008، ص 11.
[2] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، المجلد الأول (القاهرة، عالم الكتب، 2008)، ص 800.
[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط. الرابعة (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004)، ص 354.
[4] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ط. بدون (القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1993)، ص 88.
[5] نورة خيري، رقمنة الذات وإشكالية اغتراب الهويات في الفضاء السيبراني، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية، مجلد 1، العدد 1، 2023، ص 11.

الذات هي إدراك الفرد لقدراته وفهمه لها وتحقيق أهدافه، ويخرج هذا الإدراك في شكل سلوك يعبّر به الفرد عما وصل إليه من إدراك، ويُترجم في سلوك ناتج عن كل ما وصل إليه من الأشياء من حوله ومن معارف، وهنا نقصد بها كيف يعبر الإنسان عن ذاته أي عن شخصه.

ثانياً: الواقــع:

أ/ في اللغة

الواقع لغة كما جاء في تاج العروس يأتي بمعنى: "الحال أو الحقيقة الموجودة؛ أي ما هو قائم بالفعل، ليس مجرد خيال أو توقع"[6]، والواقع من "وقع" بمعنى حدث أو حصل، يقال وقع الأمر أي حدث، وحدث على أرض الواقع[7].

ب/ في الاصطلاح

يأتي الواقع اصطلاحاً بمعنى: "الظروف والحقائق المحيطة بالفرد والمجتمع التي تؤثر على السلوك والتفكير والتعلم"[8]، وهو أيضاً: "كل ما هو موجود بالفعل ومستقل عن وعي الإنسان وإدراكه، سواء أكان محسوساً بالحواس أو مجرد فكرة عقلية قابلة للتصور"[9].

ج/ التعريف الإجرائي

ترى الباحثة بأن الواقع كل ما هو موجود وظاهر سواء أكان مادياً أو معنوياً، حيث إن له خصائصَ مميَّزةً عن التصور والخيال المجرد.

---

6 محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط. بدون، ج 10 (القاهرة، دار الهداية)، ص 122.
7 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص 189.
8 عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية العربية، ط. بدون (بيروت، معهد الإنماء العربي، 1984)، ص 150.
9 إميل دوركايم، مبادئ علم الاجتماع، ترجمة: محمد البناء، ط 2 (القاهرة، دار النهضة العربية، 1983)، ص 21.

ثالثاً: الفضـاء:

أ/ في اللغة:

الفضاء لغة: مِن "فضا: الفاء والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على انفساح بشيء أو اتساع"[10]، والفضاء من "الفعل فضا يفضو فَضْواً فهو فاضٍ، وقد فضا المكان والمعنى إذا اتسع"[11].

ب/ في الاصطلاح:

اصطلاحاً الفضاء بالفرنسية هي (L'ESPACE) بداية امتداد مبهم يشمل الأشياء وتحيط به، وفي الإنجليزية (THE SPACE)، ويطلق على كل فراغ أو مساحة غير مشغولة بين شيئين أو نقطتين، وعليه فإن المصطلح يدل على معنى عام واحد وهو الامتداد والاتساع والفراغ[12].

رابعاً: الرقمـي

أ/ في اللغة: وصف لكل ما تم التعامل معه من أشياء بلغة الحاسب الآلي، ويقال مكتبة رقمية أو إدارة رقمية[13].

ب/ في الاصطلاح:

الرقمي يعرف فلسفياً بكونه تحولاً أنطولوجياً (وجودياً) أو معرفياً للمادة وتشفيرها إلى وحدات رمزية وحسابية ثنائية[14]، أما الفضاء الرقمي فهو: عالم افتراضي يعتمد على الكمبيوتر، وتربطه شبكة عالمية تتيح للأشخاص التواصل وتبادل المعلومات عبر منصات متنوعة[15].

---

[10] أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط. الثانية (لبنان، دار الفكر، 1979)، ص 508.
11 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص 152.
12 سليمان مودع، أثر الفلسفات القديمة والحديثة في مفهوم الفضاء، مجلة إشكالات، مجلد 7، العدد 01، 2018، ص 172.
13 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الثالث، 1932، www.lcacademy.gov.eg.
[14] عبد الرازق بلعقرور، التحول الرقمي وتجديد الخطاب الفلسفي، ط. بدون (الرباط، الدراسات الفلسفية والفكرية للنشر، 2023)، ص 12-15.
[15] مصطفى سجاري، أمينة نبيح، التجمعات الافتراضية في الفضاء الإلكتروني، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية، العدد السادس، 2021، ص 51.

ج/ التعريف الإجرائي:

ترى الباحثة أن التعريف الإجرائي للفضاء الرقمي هو: مساحة إلكترونية خلقت بيئةً قائمةً على التكنولوجيا، أتاحت الفرصة لملايين الأشخاص بأن يتفاعلوا ويتبادلوا المعلومات مع بعضهم البعض متخطين عامل الزمان والمكان، وقد عبر عنه في البحث بالواقع الافتراضي والفضاء الرقمي وجاءتا بنفس المعنى.

الدراسات السابقة

تنطلق الباحثة في دراستها من الدراسات السابقة التي تضع اللبنة الأولى لدراستها؛ فمن خلال الاطلاع عليها تُفتَحُ لها آفاق فكرية جديدة تنير لها الطريق في إرساء دراستها، وبالحديث عن موضوع الدراسة نجد أن العالم يعيش في حالة من التطور التكنولوجي المتسارع أدخله وفي حالة من الرقمنة يصعب عليه التراجع عنها؛ هذا الأمر جعلنا نتوقف قليلاً عند بعض الدراسات التي تناولت الذات الإنسانية فلسفياً، ومآلها تكنولوجياً في عصر الرقمنة. ومن هذه الدراسات ما يلي:

1. فوزي محمد، جمال سعادية، الذات في الفلسفة العربية من الانغلاق إلى الانعتاق، 2020.

تهدف الدراسة إلى تقديم قراءة في موضوع الذات من خلال رصد الآراء التي سعت لإيجاد قراءة تأويلية مناسبة لمصطلح الذات تقوم على الانفصال والاتصال في آن واحد.

فقد خلق صراع التيارات الفلسفية الغربية القديمة شرخاً عميقاً في المنظومة الفكرية والإبستمولوجية؛ لذا جاءت أبحاث الفلسفة الحديثة لرأب هذا الصدع والإجابة عن التساؤلات الآتية: هل مفهوم الذات يتحدد بالنظر إلى كونها كياناً مستقلاً؟ أم إلى كونها كائناً لا تتحدد هويته إلا بالنظر إلى علاقته بغيره؟

لم تذكر الدراسة منهجاً مستخدماً، ولكن من خلال قراءتها تبين أنها استخدمت المنهج التاريخي والمقارن والنقدي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن الذات في الفلسفة الغربية الحديثة لم تعد تلك الذات

المنغلقة على نفسها، بقدر ما هي ذات متماهية مع غيرها ومتخلية عن نزعتها المركزية المتعالية، وأنها في قطيعة مع النزعة النرجسية للأنا وانتصار لتعدد الذات وانفتاحها[16].

2. دراسة صحراوي جهاد، جفافلة داوود، الهوية الرقمية وإشكالية التعبير عن الذات في العالم الرقمي، 2022.

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الكيفية التي يعبر بها الفرد في العالم الرقمي الذي تشكله مواقع التواصل الاجتماعي، وانطلقت من التساؤل الرئيس:

كيف يعبر الفرد عن ذاته من خلال هويته الرقمية؟ اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج لعل أهمها: أن الهوية الرقمية أصبحت متحولة ومرنة وليست ثابتة؛ إذ يغيرها الفرد وفق السياق الرقمي، وأتاح الفضاء الرقمي للفرد إمكانات جديدة للتعبير عن ذاته، وانتقل التعبير عن الذات من الوجود الواقعي إلى الوجود الافتراضي[17].

3. نورة خيري، رقمنة الذات وإشكالية اغتراب الهويات في الفضاء السيبراني، 2023.

هدفت الدراسة إلى دراسة رقمنة الذات في الفضاء السيبراني وإشكالية الاغتراب الهوياتي من منطلق أن مصطلح الذات الرقمية يعد من المفاهيم المستجدة والمتولدة عن الفضاء السيبراني، انطلقت الدراسة من التساؤل: ما مفهوم رقمنة الذات؟ ما المقصود بالاغتراب الذاتي في الفضاء السيبراني؟ توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن العوالم السيبرانية تتيح للفرد الرقمي فرصاً متعددة غير محدودة تسمح له بإبراز ذاته وعرض هويته كما يشاء، إما بذات فعلية أو ذات زائفة افتعالية يتقمص من خلالها هوية أخرى، مما

16 فوزي يحيى محمد، جمال سعادية، الذات في الفلسفة العربية من الانغلاق إلى الانعتاق، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، العدد 5، 2020، ص 706–848.

17 صحراوي جهاد، جفافلة داوود، الهوية الرقمية وإشكالية التعبير عن الذات في العالم الرقمي، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مجلد 1، العدد 4، ص 331-347.

يجعلها غريبة عن ذاته، وأن الاغتراب عن الذات يدفع إلى التلاعب بالمستخدمين، ورغبة في بناء ذات مثالية لا تتوافر ميزاتها في الذات الأصلية[18].

4. نعيمة بن عروسة، الخطاب الفلسفي ومهمة الانفتاح على التكنولوجيا،2026.

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الرقمنة وأثرها على القضايا الفلسفية، وكيف استقبل الخطاب الفلسفي الثورة التكنولوجية؟ انطلقت الدراسة من عدة تساؤلات: ما هي أهم المناهج والرُّؤى الفلسفية لفهم العصر الرقمي؟ ما هي التحولات الرقمية الكبرى التي أثرت على الهوية الإنسانية والقيم المجتمعية؟ لم تذكر الدراسة منهجاً محدداً، توصلت الدراسة إلى نتائج مفادها: أنّ الفلسفة بوصفها خطاباً فكرياً تسعى دائماً لمواكبة التغيرات والمستجدات، وطرح القضايا الراهنة ومعالجتها بطريقة فلسفية مسايرة للأوضاع والوقائع، وعالجت الفلسفة المشاكل التي رافقت التقنية بما فيها انتهاك الخصوصية والتجاوزات الإعلامية، وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن الذات البشرية بحاجة إلى ممارسة فلسفية من أجل معايشة الوجود واستمرار تحليل القضايا والمستجدات الواقعية[19].

التعقيب على الدراسات السابقة

هدفت دراسة فوزي محمد إلى دراسة الذات في الفلسفات العربية قديماً وحديثاً، وكيف عُبِّرَ عنها، وهل مفهوم الذات يتحدد بالنظر إلى كونها كياناً مستقلاً أم كونها كائناً لا يتحدد إلا بالنظر إلى غيره، أما دراستا صحراوي جهاد ونورة خيري فقد انتقلتا إلى دراسة الذات في العصر الرقمي، وإنِ اختلفتا في عناوينها، واتفقت معهما الدراسة الحالية. أما من حيث المنهج فقد استخدمت دراسة فوزي محمد المنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج النقدي، وتتفق معها الدراسة الحالية في استخدام المنهج، أما الدراسات الأخرى فلم تذكر المنهج باستثناء دراسة صحراوي جهاد التي استخدمت المنهج التحليلي والوصفي. ومن حيث النتائج فقد اتفقت دراسة كل من فوزي محمد وصحراوي في أن الذات لم تعد تلك الذات المنغلقة على نفسها، بل أصبحت متضامنة مع غيرها وأصبحت مرنة متحولة وأكثر تغيراً في الفضاء الرقمي، واتفقت معها دراسة نورة خيري، وأضافت بأن العصر أتاح فرصاً متعددة للتعبير عن الذات وعرض

18 نورة خيري، رقمنة الذات وإشكالية اغتراب الهويات في الفضاء السيبراني، مرجع سبق ذكره، ص 11، 12، 26.
19 نعيمة بن عروسة، الخطاب الفلسفي ومهمة الانفتاح على التكنولوجيا، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 13، العدد 01، 2026، ص 405، 416، 418.

الهوية، غير أن هذا العرض خلق نوعاً من الاغتراب، أما دراسة نعيمة بن عروسة فقد ركزت على الخطاب الفلسفي ودوره في معالجة القضايا الرقمية، وستحاول الدراسة الحالية الاستفادة من هذه الدراسات في تناول هذا الموضوع[20].

المبحث الأول

ماهية الذات في الفكر الفلسفي

الحديث عن ماهية الذات في الفكر الفلسفي يستوجب منا الرجوع إلى التاريخ الفلسفي والآراء الفلسفية التي قال بها المفكرون، وكيف أدرجت في أفكارهم وكتاباتهم؛ فبالرجوع إلى الفترة اليونانية نجد سقراط هو "من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض"[21]، حيث أشار إلى التفكير في الوجود الإنساني (الذات الإنسانية) عوضاً عن التفكير الميتافيزيقي، وفي عبارته الشهيرة التي قال عنها: "اعرف نفسك بنفسك" أشار إلى الذات الإنسانية. أما أفلاطون فقد اعتبر أن: "الذات هي الجوهر؛ فالذات لها وجود حقيقي وتتسم بالجوهرية"، وعند أرسطو فإن الذات هي: "النفس والجسم لا انفصال بينهما؛ فيرى أن النفس والجسم جزءان لجوهر واحد متحدان في اتحاد الهيولى والصورة".

وفي الفترة الوسطى متمثلة في الفكر المسيحي والإسلامي نجد الفكر المسيحي عند أوغسطين الذي يرى "أن الطبيعة الإنسانية يمتزج بها كمٌّ كبير من الرغبات والنزوات والحوافز، ولعل أكبر الرغبات في الطبيعة البشرية هو الرغبة في الاتحاد مع الله ومشاهدة بهائه[22]"، وهنا عبّر أوغسطين عن الذات بما هو موجود في داخل الإنسان من رغبات وحوافز، ولعل منتهاه الرغبة في مشاهدة الله سبحانه. وفي الفكر الإسلامي أشار المفكرون المسلمون إلى الذات في أفكارهم وكتاباتهم، ولعل من بين هؤلاء المفكرين ابن رشد الذي قال: "إن الإنسان بذاته"[23].

---

[21] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط. بدون (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم، 2012)، ص 70.

22 أ. س. رابوبرت، مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، ط. بدون (القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012)، ص 28.

23 محاورة فيدون، ترجمة عزت قرني، ط 3 (القاهرة، دار القباء للطباعة والنشر، 2001)، ص 29.

وفسر ابن رشد الإنسانية بالإنسان؛ أن علة الذات الإنسانية وتفسير العالم مرتبطة بداخله وذاته التي فسر الموجودات بها. وكان للذات في الفترة الحديثة نصيبها من اهتمام الفلاسفة؛ فقد تحدث عنها ديكارت وربطها بالتفكير، وعبر عن ذلك بعبارته الشهيرة: "أنا أفكر إذن أنا موجود"، كيف أعرف أني موجود؟ فيجب أنني أعرف أني أفكر وأشعر بتفكيري فأنا أعرف أني موجود"[24].

هنا ربط ديكارت بين الوجود والتفكير؛ أي الذات يستدل عليها بالتفكير وهي دليل الوجود الإنساني.

وبالانتقال إلى الفترة المعاصرة حيث الفلسفات المعاصرة، فتأتي الفلسفة الوجودية بفلاسفتها، ولعل سارتر عبر باتجاه مغاير لما قال ديكارت الذي ربط بين التفكير والوجود؛ فيرى أن الوجود سبق الماهية، أي الإنسان يوجد أولاً ثم يحدد هويته فيقول: "إن الإنسان يوجد أولاً ثم يظل يخلق ماهيته بما يختار لنفسه من شعور؛ فليس الإنسان إلا ما هو يختار لنفسه أن يكون"[25].

إن مفهوم الذات، أو الذات الإنسانية، حظي باهتمام الفلاسفة عبر عصورهم مروراً بالعصور التاريخية، بدءاً من الفترة اليونانية التي مثلت العصور القديمة، مروراً بالعصور الوسطى ممثلة في المسيحية والإسلامية، وصولاً إلى العصور الحديثة، وأخيراً العصور المعاصرة، غير أن المجتمعات الإنسانية دخلت في حالة من التكنولوجيا الرقمية أو الرقمنة، أو ما أطلق عليه البعض الواقع الافتراضي، هذا الأمر جعلنا نقف قليلاً لنسلط الضوء على الذات والهوية في الواقع الافتراضي.

المبحث الثاني

الذات والهوية في الواقع الافتراضي

دخلت الإنسانية في ثورة تكنولوجية أضحت هي السمة المميزة للفترة المعاصرة، وكانت نتاج كفاح العقل الإنساني عبر العصور التاريخية؛ فاليوم غدت التكنولوجيا لغة العصر وأساساً من أساسيات حياتنا، وأضحى الإنترنت بمنصاته المختلفة ضرورة من ضرورات الحياة، بيد أن واقع الحياة اختلف في عصر

24 أ. س. رابوبرت، مبادئ الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 30.

25 عباس غنمة، خميس زهراء، الوجود وعلاقته بالفن عند جان بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرتاح، كلية العلوم الإنسانية، شعبة فلسفة، 2016، ص 31.

الإنترنت وأطلق عليه المهتمون بمجال التكنولوجيا (الواقع الافتراضي)، وهذا الأمر يضعنا أمام سؤال مفاده: ما ماهية هذا الواقع؟

إذا ما أردنا معرفة ماهية الواقع الافتراضي نجد أن: "الفلسفة كانت مهد الافتراضية، حيث استعمل لفظ (Virtualis) لأول مرة في العصور الوسطى لترجمة المفهوم الأرسطي القوة (dunamis)، فعند أرسطو القوة والفعل شكلان من الوجود فالشيء موجود في القوة، وفي الفعل؛ ففي القوة يكون في الحالة الافتراضية، أما عندما يوجد في الفعل فهو يحدث في الزمن والمكان ليكون فعلياً، بهذا جعل أرسطو في فلسفته من القوة والفعل نمطين من الوجود لا يمكن للشيء أن يوجد تحتهما معاً"[26].

عندما حدثنا أرسطو عن القوة والفعل جزم بالفصل بينهما، واعتبر أنهما في حالتين مختلفتين: حالة افتراضية وحالة فعلية، بيد أن عصر الرقمنة الذي شهد انفجاراً تكنولوجياً كبيراً، جمع بين القوة والفعل في آن واحد تحت مسمى الواقع الافتراضي، ففي هذا الواقع قد يكون الفرد في مكان وزمان وبيئة ما، ويصل تعبيره عن شيء في مكان وزمن وبيئة أخرى، قد تبعد آلاف الأميال عن المكان الموجود فيه فعلياً.

والسؤال هنا: كيف عبر الإنسان عن ذاته في الواقع الافتراضي؟

في الحقيقة إن التعبير عن الذات في الواقع الافتراضي أو كما يسميه البعض الرقمي ارتبط بالهوية الشخصية، وكيف يقدم الإنسان نفسه في هذا الواقع؛ فنجد أنه عبر بالصور والألقاب والمحتوى. كيف ذلك؟ أما الصور فقد مثلت الصور أحد أهم الأبعاد في تشكيل الهوية الرقمية؛ قد يستخدم الأفراد صوراً حقيقية لأنفسهم وقد يفضلون صوراً رمزية أو خيالية[27]، ويعبر عنها أيضاً بالألقاب "من خلال الألقاب والمسميات التي يستخدمها الأفراد لتمكنهم من بناء تصور معين عن الذات"[28]، ويتم اختيار محتوى للكتابة يتمثل في: "طريقة الكتابة على الإنترنت سواء أكانت عبر المنشورات أو التعليقات، فاللغة مهمة في تقديم الذات"[29].

---

[26] عزوز وهيبة جنات، فلسفة الواقع الافتراضي من الكائن الطيني إلى الشبكة الديكارتية، المجلة الدولية للاتصال الجماهيري، المجلد (9)، العدد 02، 2022، ص 44.
[27] محمد حسن عبد السلام، علم الاجتماع الرقمي بين النظرية والتطبيق، ط. الأولى (القاهرة، أوراق للنشر، 2025)، ص 25.
[28] المرجع السابق، ص 85.
[29] المرجع السابق، ص 25.

لقد اختار الإنسان نهجه في التعبير عن ذاته في الواقع الافتراضي أو الرقمي؛ فهو يتواصل مع الآخر بهويته الرقمية التي أوجد لها صوراً وألقاباً ومحتوى لترمز له ليعبُرَ من خلالها، وغالباً ما تختلف الهوية الرقمية عن الهوية الشخصية؛ فقد تحمل الهوية الرقمية بياناته حقيقية وقد تكون وهمية تدخل في عالم الخيال، وهذا ما يسميه التكنولوجيون الاجتماعيون بالتنكر الرقمي.

ما المقصود بالتنكر الرقمي في الواقع الافتراضي؟ ولماذا يُلْجَأُ إليه؟ يقوم الشخص بإخفاء هويته الحقيقية وينشئ هوية وهمية قد تكون للمحافظة على خصوصيته وحمايتها من الجهات الرسمية، وقد يخفي عيوبه ليعبر بحرية أكثر، وقد يتنكر لتبني سلوكيات غير مسؤولة أو عدوانية كما في التنمر الإلكتروني[30].

هذا التنكر الرقمي كان سبباً في خلق العديد من القضايا والإشكاليات الفلسفية والاجتماعية والأخلاقية أصبحت محط اهتمام الباحثين في المجال الرقمي، وكانت الفلسفة سبّاقة كعادتها في طرح ومعالجة القضايا الفلسفية والمجتمعية التي تمس الفرد والجماعة، ولعل أخطر هذه القضايا التنمر الإلكتروني الذي استخدم أسلوباً غير إنساني مليئاً بالأذى والعدوانية والضرر بالآخرين، الأمر الذي استوجب احتواءه ووضع حلول له وما نتج عنه.

المبحث الثالث

مهمة الفلسفة في ظل التقدم الرقمي

هذا العنوان يضعنا أمام سؤال جوهري مفاده: هل الفلسفة مهمة في ظل الواقع الرقمي؟ في الحقيقة أن الفلسفة كانت ولا زالت تواكب التقدم الحضاري، وما يحمل في طياته من تقدم تقني أوجدنا في حالة الرقمنة التي خلقت قضايا فلسفية تتعلق بالذات والوجود الإنساني؛ هذا الأمر جعلنا نقف قليلاً لنفهم ما مهمة الفلسفة في ظل التقدم الرقمي؟ وكيف تعاملت مع ما طرأ من قضايا كانت نتيجة مباشرة لهذا التقدم؟

في الحقيقة أن: "الفلسفة تمشي جنباً إلى جنب مع العصر الرقمي، فقد أثار الفلاسفة المعاصرون مواضيع خاصة بالرق، عالجوها فلسفياً بغية تقريب الفهم وتسليط الضوء على عالم البرمجيات ومدى تأثيرها على

[30] المرجع السابق، ص 85، 86.

الذوات، ولذلك فإن الحديث عن أي أفق للثورة الرقمية ينبغي أن يكون تفكيراً في غايتها وعلاقتها بالوجود الإنساني، ولا يتعلق الأمر بالتقليل من منجزات الإنسان بقدر ما يتعلق بضرورة تأطيرها بواسطة التفكير الناقد"[31].

إذن فإنه من مهام الفلسفة تأطير المنجزات الإنسانية لفهم تأثيرها على الذوات الإنسانية، وأنْ تُمعِن التفكير في أفق الثورة الرقمية، والتفكير هنا يجب أن يكون ناقداً؛ لأننا نقف أمام قضايا ترجمت بين واقعين (واقع حقيقي وواقع افتراضي)؛ فقد يتصرف أحدهم بواقعه الحقيقي الممثل لشخصه وهويته الحقيقية وقِيَمه الحقيقية، وإن عبر عنها رقمياً أو افتراضياً كما سماه التكنولوجيون، وقد يتصرف آخر بواقع مغاير ينتحل فيه ويتنكر بشخصية مختلفة تعبر عن ذات غريبة عنه، قد يعيش فيها حالة من الكذب على الذات كما سماها الوجوديون، يقوده إلى العديد من المشاكل الرقمية التي أشرنا إليها في المبحث السابق والتي تحتاج إلى معالجات فلسفية.

تأتي هذه المعالجات الفلسفية لتحتوي المشاكل الناتجة عن العصر الرقمي، وتستمر في عملها وحضورها الدائم لمناقشة كل مستجدات الذات الإنسانية وأزماتها الحضارية وتحليلها، وتحاول معالجة المشاكل التي رافقت التقنية الرقمية بما فيها انتهاك الخصوصية، والتجاوزات الأخلاقية والتعدي على حقوق الغير والبعد عن الذات والآخر والدخول في عالم الغربة[32].

نعم، للفلسفة حضورها في حل مستجدات الذات الإنسانية؛ تطرح الأسئلة وتنتقد وتحلل لتصل إلى حلول لهذه المستجدات، ويقع على عاتق الفيلسوف هذه المهمة؛ يحلل القضايا الرقمية كالتنمر الإلكتروني ويتساءل: ما الذي يدفع إلى التنمر الإلكتروني؟ هل للتنمر أسباب ذاتية؟ هل أدى التنمر إلى جرائم إنسانية؟ هل يعد التنمر تجاوزاً أخلاقياً؟ هل هناك حلول للحد من هذه المشكلة؟ وغيرها من الأسئلة ليصل في النهاية إلى تأطيرها ووضع حلول مناسبة لها. ولعل على الجهات الرسمية دعم الفلسفة في مهامها الفلسفية، ودعم التفكير الناقد الذي يفكك المشكلة ويحللها ليصل إلى حلول.

---

[31] نعيمة بن عروسة، الخطاب الفلسفي ومهمة الانفتاح على التكنولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص 409.
[32] المرجع السابق، ص 411، 417.

الخاتمة

حاولت الدراسة تناول موضوع (الذات بين الواقع والفضاء الرقمي) الذي يعد من المواضيع الفلسفية المهمة التي تمس الحياة اليومية للذات الإنسانية في عصر الرقمنة، ومن خلال تناول الموضوع بالبحث والدراسة، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. اهتمت الفلسفة عبر عصورها التاريخية بالذات الإنسانية، وذلك كما جاء في أفكار بعض الفلاسفة وكتاباتهم.
2. ارتبط مفهوم الذات في عصر التكنولوجيا بمفهوم الهوية الرقمية التي عبر الإنسان من خلالها عبر الشبكات والبرمجيات الإلكترونية.
3. ظهرت العديد من المستجدات والإشكالات الفلسفية على إثر ظهور الثورة الرقمية.
4. يقع على الفلسفة مهمة التصدي للإشكالات الإنسانية الناجمة عن التقدم التقني.
5. على الفيلسوف المعاصر أن يكون مفكراً ناقداً؛ ليتسنى له احتواء هذه الإشكالات ووضع حلول مناسبة لها.

بناءً على هذه النتائج فإن الباحثة من خلال دراستها توصي بالآتي:

1. ضرورة وضع إستراتيجيات فلسفية جديدة تستوعب القضايا الفلسفية المعاصرة.
2. تعزيز التفكير الناقد؛ لأنه الأداة الفاعلة في حل المشكلات الفلسفية.
3. ضرورة وجود دعم مؤسسي؛ لتتمكن الفلسفة من القيام بمهامها.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب

1. ابن منظور، لسان العرب، ط. الأولى، الجزء الرابع (الجزائر، دار الأبحاث،2002).
2. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ط. بدون (القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1993).
3. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، المجلد الأول (القاهرة، عالم الكتب، 2008).

4. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط الثانية، ج 4 (لبنان، دار الفكر، 1979).
5. إميل دوركايم، مبادئ علم الاجتماع، ترجمة محمد البناء، ط. 2 (القاهرة، دار النهضة العربية، 1983).
6. أ. س. رابوبرت، مبادئ الفلسفة، ترجمة أحمد أمين، ط. بدون (القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012).
7. عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية العربية، ط. بدون(بيروت، معهد الإنماء العربي،1984).
8. عبد الرازق بلعقرور، التحول الرقمي وتجديد الخطاب الفلسفي، ط. بدون (الرباط، الدراسات الفلسفية والفكرية للنشر، 2023).
9. محمد المصباحي، الذات في الفكر العربي الإسلامي، ط1 (بيروت، المركز العربي للأبحاث، 2017).
10. محمد الزبيدي، تاج العروس، ط. بدون، ج 10 (القاهرة، دار الهداية).
11. محمد حسن عبد السلام، علم الاجتماع الرقمي بين النظرية والتطبيق، ط. الأولى (القاهرة، أوراق للنشر، 2025).
12. مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ط. بدون (الإسكندرية، دار الوفاء، 2000).
13. محاورة فيدون، ترجمة عزت قرني، ط3 (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، 2001).
14. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الجزء الثالث،1932،.www.lcacademy.gov.eg
(15) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط. بدون (القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2012).

ثانياً: الدوريات:

1. سليمان مودع، أثر الفلسفات القديمة والحديثة في مفهوم الفضاء، مجلة إشكالات، مجلد 1، العدد 01، 2018.

2. عزوز وهيبة جنات، فلسفة الواقع الافتراضي من الكائن الطيني إلى الشبكة الديكارتية، المجلة الدولية للاتصال الجماهيري، المجلد 9، العدد 02، 2022.
3. فوزي محمد، جمال سعادية، الذات في الفلسفة الغربية من الانغلاق إلى الانعتاق، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 9، العدد 5، 2020.
4. مصطفى سجاري، أمينة نبيح، التجمعات الافتراضية في الفضاء الإلكتروني، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية، العدد السادس، 2021.
5. نعيمة بن عروسة، الخطاب الفلسفي ومهمة الانفتاح على التكنولوجيا، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 13، العدد 01، .2026
6. نورة خيري، رقمنة الذات وإشكالية اغتراب الهويات في الفضاء السيبراني، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية، مجلد 9، العدد 01، 2023.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

1. عباس غنمة، خميس زهراء، الوجود وعلاقته بالفن عند جان بول سارتر، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، كلية العلوم الإنسانية، شعبة الفلسفة، 2016.